

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ
تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ
قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ تَعَالَى حُكْمَ الْمُطَلَّاقَاتِ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ وَالْمُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ، بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ حُكْمَ الْمُطَلَّاقَةِ غَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا وَغَيْرِ الْمُسَمَّى لَهَا مَدْخُولًا بِهَا أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ (1).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

- (1) ﴿لَا جُنَاحَ﴾: لَا إِثْمَ، وَسَبَقَ شَرْحُ مَعْنَاهُ تَفْصِيلِيًّا فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ (233).
- (2) ﴿طَلَقْتُمْ﴾: الطَّلَاقُ أَصْلُهُ مِنَ التَّخْلِيَةِ مِنَ الْوِثَاقِ، يُقَالُ: أَطْلَقْتُ الْبَعِيرَ مِنْ عِقَالِهِ، وَأَطْلَقْتُ لَكَ مِنْ مَالِي كَذَا: خَلَّيْتُ عَنْهُ. وَيُسْتَعَارُ التَّطْلِيْقُ لِفِرَاقِ الْأَلَمِ. وَعَدَا الْفَرَسُ طَلَقًا أَوْ طَلَقَيْنِ اعْتِبَارًا بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ. وَإِطْلَاقُ الْيَدِ: سَخَاؤُهَا كَقَوْلِهِمْ فِي الْعَكْسِ: يَدُهُ مَغْلُولَةٌ، وَغُلَّتْ يَدُهُ. وَفُلَانٌ طَلَّقَ الْمُحَيَّا وَطَلَّقَ الْوَجْهَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ كَالِحًا، وَالْمُطَلَّقُ يُقَابِلُ الْمُقَيَّدَ لُغَةً وَعُرْفًا. وَهُوَ فِي الشَّرْعِ: حُلُّ عَقْدَةِ النِّكَاحِ، بِقَوْلٍ صَرِيحٍ، أَوْ كُنَايَةٍ مِنَ الزَّوْجِ بِشُرُوطٍ، وَالْإِرْتِبَاطُ وَثِيقٌ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ: اللَّغَوِيِّ وَالشَّرْعِيِّ؛ لِأَنَّهُ تَخْلِيَةُ لِلْمَرْأَةِ مِنْ رَبَقَةِ الزَّوْجِ. وَيُقَالُ: طَلَّقْتُ الْمَرْأَةَ فَهِيَ مُطَلَّقَةٌ وَطَالِقٌ، وَيُقَالُ لِلْحَلَالِ طَلَقٌ، أَيُّ: أَنَّهُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ عَلَى أَحَدٍ شَرْعًا (2).
- (3) ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾: "(مَسَّ) الْمَيْمِ وَالسَّيْنِ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يُدْلُّ عَلَى جَسِّ الشَّيْءِ بِالْيَدِ. وَمَسَّيْتُهُ أَمْسُهُ. وَرَبَّمَا قَالُوا: مَسَّيْتُ أَمْسٌ. وَالْمَسْوَسُ: الَّذِي بِهِ مَسٌّ، كَأَنَّ الْجَنَّ مَسَّتُهُ. وَالْمَسْوَسُ مِنَ الْمَاءِ: مَا نَالَتَهُ الْأَيْدِي"، وَمَسَّ يَمَسُّ وَأَمَسَّ مَسًّا وَمَسِيَسًا، وَالْمَسُّ - أَيْضًا -: الْجُنُونُ، وَالْمَسْوَسُ: الْمَجْنُونُ. وَكُنِيَ بِالْمَسِّ عَنِ النِّكَاحِ، فَقِيلَ: مَسَّهَا وَمَسَّهَا (3).

وَالْمَعْنَى: تَجَامَعُوهُنَّ.

(1) أَبُو حَتَّىانَ، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 2/246.

(2) الرَّاغِبُ، الْفَرَادَاتِ، وَالشَّامِيُّ، عُمدَةُ الْحِفَاطِ: (طَلَقَ).

(3) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَابِيْسُ اللَّغَةِ: (مَسَّ)، وَالرَّاغِبُ، الْفَرَادَاتِ: (مَسَّ).

(4) ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: فَرَضَ يَفْرِضُ فَرَضًا فهو فَارِضٌ، وهي مَفْرُوضَةٌ، فَرَضْتُ الشَّيْءَ أَفَرِضُهُ فَرَضًا وفَرَضْتُهُ لِلتَّكْثِيرِ: أَوْجَبْتُهُ. وفَرَائِضُ اللَّهِ: حُدُودُهُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا وَنَهَى عَنْهَا، والفَرَضُ: ما أَوْجَبَهُ اللَّهُ ﷻ، سُمِّيَ بذلك لِأَنَّ لَهُ مَعَالِمَ وَحُدُودًا⁽¹⁾.

وقد ذُكِرَ الْفَرَضُ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَوْجِهٍ عِدَّةٍ مِنْهَا: الْإِجَابُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [البقرة: 197]، وَالْإِحْلَالُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: 38]، وَالْإِنْزَالُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصاص: 85]، أَيْ: أَنْزَلَ وَأَوْجَبَ الْعَمَلَ بِهِ، وَقِسْمَةُ الصَّدَقَاتِ وَالْغَنَائِمِ وَالْمِيرَاثِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَيْهِمْ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: 11]، أَيْ: قِسْمَةٌ.

وَالْمَعْنَى الْمَحْذُورُ لِلْمَادَّةِ: قَطْعُ غَائِرٍ (غَيْرِ نَافِذٍ) فِي جُرْمٍ غَلِيظٍ (يَرَسُخُ فِيهِ شَيْءٌ). وَالْفَرِيضَةُ: الْحِصَّةُ (الْقِطْعَةُ) الْمَفْرُوضَةُ عَلَى شَخْصٍ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ؛ كَالْمَهْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: 237] وَمِنْهُ: عِلْمُ الْفَرَائِضِ، أَيْ: مَا فُرِضَ لِكُلِّ وَارِثٍ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: الْفَرِيضَةُ: مِقْدَارُ الزَّكَاةِ فِي الْمَالِ: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 60]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: 118]، أَيْ: مُحَدَّدًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [البقرة: 197]، أَيْ: أَوْقَعَهُ وَأَدَّاهُ فِيهِنَّ، أَوْ شَرَعَ فِيهِ. وَمِنْ الْأَصْلِ يُؤْخَذُ فَرَضُ الشَّيْءِ بِمَعْنَى الزَّمَامِ⁽²⁾.

وَالْمُرَادُ هُنَا: تُقَدِّرُوا لَهُنَّ مَهْرًا.

(5) ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: (مَتَعَ) الْمِيمُ وَالنَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَنْفَعَةٍ وَامْتِدَادٍ مُدَّةٍ فِي خَيْرٍ⁽³⁾.

وَالْمُتَوَّعُ الْإِمْتِدَادُ وَالْإِرْتِفَاعُ، يُقَالُ: مَتَعَ النَّهَارَ وَمَتَعَ النَّبَاتَ: إِذَا ارْتَفَعَ فِي أَوَّلِ النَّبَاتِ. وَالْمَتَاعُ: انْتِفَاعٌ مُمْتَدُّ الْوَقْتُ، يُقَالُ: مَتَعَهُ اللَّهُ بِكَذَا، وَأَمَتَعَهُ، وَتَمَتَّعَ بِهِ، وَالْقُرْآنُ وَرَدَ بِالثَّانِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: 98]، وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِيهِ تَمَتَّعُوا فِي الدُّنْيَا فَعَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنْ مَعْنَى التَّوَسُّعِ، وَاسْتَمْتَعَ: طَلَبَ التَّمَتُّعِ. وَيُقَالُ لَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (فرض).

(2) جبل، العجم الاشتقاقى للؤصل: (فرض).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (متع).

في البيت متاع، والمتاع والمتعة: ما يُعطى للمُطلقة لِتَنفَع به مُدة عِدَّتِها، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: 49]، ومُتعة النكاح هي: أنَّ الرَّجُلَ كان يُشارِب المرأة بمال معلوم يُعطِيها إلى أجلٍ معلوم، فإذا انقضى الأجلُ فارَقَها من غير طلاق⁽¹⁾.

والمعنى هنا: أعطوا المطلقات شيئاً يَنْفَعَن به جَبَرًا لهن.

(6) ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾: والْوَسْعُ والسَّعة: الجِدَّة والطَّاقة، قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: 7]، أي على قَدَرٍ غِناء وسَعَةٍ، وأَوْسَعَ الرَّجُل إذا صار ذا سَعَةٍ وَغْنَى، ويقال: أَوْسَعَ اللَّهُ عليك، أي: أغْناك. والتَّوسُّعُ: خلاف التَّضييق. تقول: وَسَّعْتُ الشَّيْءَ فَاتَّسَعَ واستَوْسَعَ، أي: صار واسعًا. وتَوَسَّعُوا في المجلس، أي: تَفَسَّحُوا⁽²⁾. والمَوْسِعُ هنا: المَوْسِرُ.

(7) ﴿قَدَرُهُ﴾: قَدَرُ الشَّيْءِ مَبْلَغُهُ، والقَدَرُ والقَدْرُ: ما يُقَدَّرُهُ اللَّهُ تعالى مِنَ القضاء. وَرَجُلٌ ذُو قُدْرَةٍ أي غِنَى، وذو مَقْدَرَةٍ بِالضَّم، أي: ذو يَسَارٍ أيضًا، ويقال: مالي عليه مَقْدَرَةٌ ومَقْدَرَةٌ ومَقْدَرَةٌ، أي قُدْرَةٌ⁽³⁾.

وقد ورد القَدَرُ وما يتَصَرَّفُ منه في القرآن الكريم لمعانٍ مختلفة تصل إلى ستة معانٍ، منها: الشَّرَفُ والعَظَمَةُ، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]، وَضِيقُ المعيشة، نحو قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: 12]، أي: يُضَيِّقُ⁽⁴⁾. ومعنى ﴿قَدْرُهُ﴾ هنا: مِقْدَارُ ما يُطِيقُهُ الزَّوْجُ، أي: ما يليق بحاله مَقْدُورًا عليه.

(8) ﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾: قَتَرَ: أَصْلُ المَادَّةِ يَدُلُّ على تَجْمِيعٍ وَتَضْيِيقٍ، مِن ذَلِكَ القُتْرَةُ: بَيْتُ الصَّائِدِ؛ وَسُمِّيَ قُتْرَةً لِضِيقِهِ وَتَجْمُعِ الصَّائِدِ فِيهِ؛ وَالْجَمْعُ قُتْرٌ. وَالْإِقْتَارُ: التَّضْيِيقُ. يُقَالُ: قَتَرَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَقْتَرُ، وَأَقْتَرُ وَقُتْرٌ. وَالْقَتْرُ: الْغُبَارُ. وَالْمُقْتَرُ: الضَّيِّقُ الْحَالُ⁽⁵⁾.

(9) ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: المعروف: اسمٌ لكلِّ فِعْلٍ يُعْرَفُ بِالْعَقْلِ أو حَسَنَهُ الشَّرْع.

(1) الزَّائِبُ، للفردات: (متع).

(2) الجوهري، الصَّاح: (وسع).

(3) الجوهري، الصَّاح: (قدر).

(4) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التَّمييز: (قدر).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قتر).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لا إثم عليكم - أيُّها الأزواج - إن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ بعد العَقْدِ عليهنَّ، وقبل أن تجامعوهُنَّ، أو تُحدِّدوا مَهْرًا لهنَّ، ومَتَّعُوهُنَّ بشيءٍ ينتفعنَّ به جبرًا لهنَّ، ودفعًا لوحشة الطَّلَاق، وإزالة الأحقاد. وهذه المتعة تجب بحسب حال الرَّجُل المطلق، على الغني قَدْر سَعَةِ رِزْقِهِ، وعلى الفقير قَدْر ما يملكه، متاعًا على الوجه المعروف شرعًا، وهو حقٌّ ثابت على المحسنين الذين يُحسنون إلى المطلَّقات وإلى أنفسهم بطاعة الله⁽¹⁾.

❁ الإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغة العدول إلى الفصل في مطلع الآية:

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: "استئناف تشريع لبيان حكم ما يترتب على الطلاق من دفع المهر، كله أو بعضه، وسقوطه وحكم المتعة مع إفادة إباحة الطلاق قبل المسيس. فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيًا"⁽²⁾.

سِرُّ التعبير بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية:

الآية الكريمة خَبَرٌ برفع الحَرَجِ عَنِ الْمُطَلَّقِ قبل البناء والمَسيِسِ سواء فرض مَهْرًا أو لم يَفْرِضْ، وهذا ما يُنبِئُ عنه قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾. وقد أومأ التعبير بِإِنَّ الشرطية التي تدلُّ على الشكِّ في وقوع الشرط إلى عدم استحباب وقوع الطَّلَاق في هذه الحالة إلَّا عند الضَّرورة؛ لما فيه من كَسَرٍ للقلوب، فأَخْرِجَ الخبر في صورة الأمر النَّادر الَّذِي يَشْكُ في حصوله.

وجه الفصل
الاستئناف البياني
لحكم ما يترتب
على الطلاق من
دفع للمهر

التعبير بـ﴿إِنْ﴾
إيماءً إلى عدم
استحباب وقوع
الطَّلَاق:

(1) نخبة من العلماء، التفسير لليسر، ص: 38.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/457.

وجه تعريف «الْبَسَاء»:

والنساء: الأزواج، والتعريف فيه تعريف الجنس، فهو في سياق
النفي للعموم، أي لا جناح في تطليقكم الأزواج⁽¹⁾.

بلادة الكناية في لفظ المسيس:

والمسيس هنا كناية عن قربان المرأة⁽²⁾، أو عن الجماع، وقوله:
﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ من بديع الكنايات القرآنية التي تسمو بالأخلاق،
وتُهذَّب السُّلوك، وترقى بالنفوس، وتَنأى بالمُسلم عن بذاءة القول،
وإسفاف اللفظ، وفُحش الكلام، فكان التعبير عما يُستَحَى مِنْ ذكره
صراحة بتلك الكنايات الرَّاقية.

توجيه القراءات في صيغة المسيس:

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ بصيغة
المشاركة (التفاعل) بالألف هاهنا؛ لأنَّ بَدَنَ كُلِّ واحدٍ منهما يلاقي
بَدَنَ صاحبه كما قال الله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [الجادلة: 3]، وقرأ
الباقون ﴿تَمْسُوهُنَّ﴾ بلا ألف⁽³⁾؛ لأنَّ الغُشيان يكونُ مِنْ فِعْلِ الرَّجُلِ،
بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: 47]⁽⁴⁾.

وجه قراءة «تَمْسُوهُنَّ» المشاركة أيضاً:

وجه قراءة «تَمْسُوهُنَّ» على صيغة المُفاعلة الدلالة على
المشاركة من اثنين، ووجه دلالتها في هذا المقام أنَّ الفعل من الرَّجُلِ،
والتَّمَكِين مِنَ المرأة.

دلالة (أو) في قوله «أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ قَرِيضَةً»:

(أو) في هذه الجملة الشَّرِيفة بمعنى (حتَّى)، أو بمعنى إلَّا،
والمعنى: حتَّى تَقْرِضُوا لَهُنَّ صَدَاقًا، أو إلَّا أنَّ تَقْرِضُوا لَهُنَّ صَدَاقًا،

تعريف النساء
هنا للجنس
والمراد الأزواج

وجه الكناية
التعبير عن
قربان المرأة

القراءة بصيغة
التفاعل دليلٌ
على معنى
المشاركة
وعدمها

(أو) بمعنى
(حتَّى)، أو
بمعنى إلَّا

(1) ابن عاشور، للصدر السابق نفسه: 2/458.

(2) ابن عاشور، للصدر السابق وحده: 2/458.

(3) ابن الجزري، النشر: 2/228.

(4) العليمي، فتح الزحمن: 1/338، والبغوي، معالم التنزيل: 1/161.

والمعنى: لا طَلَبَ عليكم بشيء من الصَّدَاقِ إِنْ طَلَّقْتُمْ قَبْلَ الدَّخُولِ
مَالَم تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرَضُوا لَهُنَّ مَهْرًا.

دلالة الأمر في الآية الكريمة للوجوب:

الأمر في الآية
الكريمة
لِلوَجُوبِ ضَمَانًا
لِعَوَضِ الْمَهْرِ،
وَجَبْرًا لِكَسْرِ
قَلْبِ الْمَطْلُوقَةِ

الأمر في قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَعِّقِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ للوجوب؛ لئلا يكون عَقْدُ نِكَاحِ الْمُطْلُوقَةِ قَبْلَ الدَّخُولِ وَالْمَسِيسِ خَالِيًا مِنْ عَوَضِ الْمَهْرِ، وَجَبْرًا لِكَسْرِ قَلْبِهَا بِطُلَاقِهَا، وَجَبْرًا لَوْحْشَةِ الْفِرَاقِ قَبْلَ الدَّخُولِ بِهَا، وَالْمَعْنَى: زَوِّدُوهُنَّ وَأَعْطُوهُنَّ مِنْ مَالِكُمْ مَا يَتِمَّتَعْنَ بِهِ. وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا أَنَّ أَصْلَ الصَّيْغَةِ لِلْوَجُوبِ مَعَ قَرِينَةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآتِيَةِ: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢١) [البقرة: 241]؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ ﴿حَقًّا﴾ تُؤَكِّدُ الْإِلْزَامَ وَالْوُجُوبَ (1).

وَالْمَرْأَةُ تَسْتَحِقُّ الْمُنْعَةَ دُونَ الْمَهْرِ إِذَا طُلِّقَتْ قَبْلَ تَسْمِيَةِ الْمَهْرِ، وَقَبْلَ الْمَسِيسِ، وَإِنَّمَا تَسْتَحِقُّ الْمُنْعَةَ فِي مِقَابِلِ مَا حَصَلَ مِنَ الْعَقْدِ عَلَيْهَا، وَإِنْ طُلِّقَتْ بَعْدَ الدَّخُولِ وَقَبْلَ الْفَرَضِ فَلَهَا مَهْرٌ مِثْلُهَا وَالْمُنْعَةُ أَيْضًا (2).

علّة تأكيد الطلب في قوله: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾:

تأكيد الطلب
أن التمتع هو
حق؛ أي: أمر
ثابت لازم واجب
على المحسنين

قال أبو زهرة: "ولقد أكد سبحانه وتعالى الطلب في قوله: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أكد بصيغة تفيد أن التمتع لازم لا مساغ من التخلص من لزومه، فقال سبحانه عز من قائل: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، أي أن التمتع هو حق أي أمر ثابت لازم واجب على المحسنين" (3).

بلغة الكناية عن الغنى والفقر والطاقة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَعِّقِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ كِنَايَاتَانِ عَنِ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، أَوْ سَعَةِ الْعَيْشِ وَضَيْقِهِ، وَأَمَّا الْقَدَرُ فَكِنَايَةُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/458.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 4/200.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 2/829.

عن المساواة في الطاقة والحال، فكلُّ يُعطي مُطلَّقة ما تستفيع به زمن عدَّتْها على أن يكون هذا الانتفاع ممَّا يمتدّ زمنًا؛ ليُعين المُطلَّقة على التَّخفيف من آثار الطَّلاق قبل الدُّخول.

براعة الطَّباق بين «المُوسِع» و«المُقْتِر»:

بَيْنَ «المُوسِع» و«المُقْتِر» طِباق يُبرز معنى المساواة في التَّمتع، ويؤكدُه كلٌّ على حسب قدرته وطاقته.

معنى الباء في لفظ «بِالمَعْرُوف»:

الباء في قوله: «مَتَّعًا بِالمَعْرُوف» للملازمة، أي: متاعًا مُلتصِقًا بالمعروف ومُتلبسًا به لا ينفكُّ عنه.

بلاغة التعبير بالمصدر:

وأكد التَّمتع بمصدرين هما: المفعول المطلق «مَتَّعًا» وبمفعول مُطلق آخر، وهو قوله: «حَقًّا». وقد أدى هذا المعنى قوَّة المصدر في الدلالة على المعنى وهو هنا إيجاب التمتع بالمعروف، والحثُّ عليه.

بلاغة التَّتميم في الآية:

في قوله تعالى: «حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» تتمिम بلاغي، بيان هذا أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ: «حَقًّا» أَفْهَمَ الإِيجَابَ، فَلَمَّا قَالَ: «عَلَى الْمُحْسِنِينَ» تَمَّمَ المعنى، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّفْضُلِ وَالإِحْسَانِ لَا مِنْ بَابِ الإِيجَابِ، فَلَمَّا قَالَ: «عَلَى الْمُحْسِنِينَ» تَمَّمَ التَّعْمِيمَ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّفْضُلِ وَالإِحْسَانِ، لَا مِنْ بَابِ الإِيجَابِ⁽¹⁾.

نكتة تقديم المفعول على الجار والمجرور:

أفاد تقديم المفعول له «حَقًّا» على الجار والمجرور «عَلَى الْمُحْسِنِينَ» الاختصاص، وفي هذا ترغيب في الإحسان وتأكيده عليه.

معنى الطَّباق
إبراز معنى
المساواة في
التمتع، وتأكيده

الباء للملازمة
المتاع بالمعروف
والالتصاق به

التعبير
بالمفعولين
المطلقين تأكيدًا
للتمتع

التتميم إتمام
للمعنى،
وبيان أَنَّهُ مِنْ
بَابِ التَّفْضُلِ
وَالإِحْسَانِ لَا مِنْ
بَابِ الإِيجَابِ

وجه التقديم
إفادة
الاختصاص،
والترغيب في
الإحسان

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 2/247.

علة التذيل بلفظ المحسنين:

أَكَّدَ تمتيع المُطَلَّقة قبل الدُّخُولِ والتي لم يُسَمَّ لها مَهْرٌ عَوَضًا عن وَحْشَةِ الطَّلَاقِ وآثاره بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾؛ للدلالة على إلزامية التمتع ووجوبه على المحسنين إلى أنفسهم بإبعادهم عن ظُلم مُطَلَّقاتهم قبل الدُّخُولِ، والَّذِينَ يَتَحَرَّوْنَ الإحسان إلى مَنْ عَقَدُوا عَلَيْهِنَّ ولم تَشَأْ الأقدار إكمال مسيرة الزَّوَاجِ بِهِنَّ، "فالتعبير بالمُحْسِنِينَ؛ للإشارة إلى أَنَّ هذا الواجب هو من قَبِيلِ الإحسان في المودَّة، والإشعار بالقُرْبَى في وقت الانفصال، ومنع الغُضاضة والألم، وتطبيب القلوب، وهذا لا يُنافي الوجوب واللزوم"⁽¹⁾.

التذيل بلفظ
المُحْسِنِينَ؛
لإشارة إلى
إلزامية التمتع
ووجوبه على
المُحْسِنِينَ
إلى أنفسهم
بإبعادهم عن
ظُلم مُطَلَّقاتهم
قبل الدُّخُولِ

فوجه تخصيص المحسنين في هذه الآية أَنَّهُ لما كان الإحسان قد يكون لما يريد على الواجب، وقد خَصَّ بذلك المحسنين دلَّ على أَنَّ ذلك حقٌّ على المعروف لا الإيجاب، أو أَنَّ ذلك للمحسنين والمتقين لا لتخصيص الإيجاب، بل للتأكيد، وأنه من تمام الإحسان والتقوى، كما أن قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] ليس بتخصيص أنه لا يهدي به إلا المتقين، لكن يبينه على أَنَّ الاهتداء به من تمام التقوى⁽²⁾.

التذيل بلفظ
المُحْسِنِينَ لا
لتخصيص
الإيجاب،
بل للتأكيد،
وهو من تمام
الإحسان
والتقوى

"وإنَّما حَسُنَ ذِكْرُ الإحسان هنا؛ لأنَّ المفروض غيرُ مُحَدَّدٍ، والشَّارِعُ يُجِبُّ بَسْطَ الكَفِّ فيه، فَذَكَرَ بالإحسان من أجل ذلك، وليبيِّن أَنَّ المتعة ليست من قبيل الغرامة؛ إذ لو كانت غرامةً لا اختيَارَ في قدرها كما لا اختيَارَ في أصلها لما تحقَّقت بها الحكمة"⁽³⁾ فذكر لفظ "المحسنين" في ختام الآية الكريمة فيه ترغيب في الإحسان، وحُضُّ عليه.

في التذيل بلفظ
(المُحْسِنِينَ)
ترغيب في
الإحسان وحُضُّ
عليه.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/830.

(2) الراغب، تفسير الراغب: 1/490.

(3) محمَّد رشيد رضا، تفسير النار: 2/431.

بلادة التعبير عن المحسنين على طريق المجاز المرسل:

المُقَرَّر في قواعد النُّحو أنَّ اسم الفاعل يُدُلُّ على مَنْ قام بالفعل،
أو قام به الفعل، وهو ما لم يتحقَّق هنا؛ لأنَّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى
المُطَلَّقات بالتَّمَتُّع لم يَقُمْ بهم الإحسان إليهم بعد، فَهُمْ إِنَّمَا كَلَّفُوا
به في هذه الآية الكريمة، فَسَمُّوا مُحْسِنِينَ واسم الفاعل لا يُدُلُّ على
المُسْتَقْبَل إِلَّا تَأْوِيلًا، وتأويله أَنَّهُ مِنْ باب المجاز المرسل بعلاقة ما
يُؤَوَّل إليه، كما في قول الرَّسُول ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»⁽¹⁾.

صَحَّ التعبير
بالمجاز المرسل
بعلاقة ما يُؤَوَّل
إليه

(1) زاده، حاشية على البيضاوي: 1/549، والحديث أخرجه مُطَوَّلًا البخاري، حديث رقم: (3142)، ومسلم، حديث رقم: (1751).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 3، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-54-5

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 3: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 978-9948-798-54-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»